بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

شهدت المجتمعات علىٰ مدار العصور - ولا زالت - حالات من الحراك، تتجلىٰ بوضوح في الفعل السياسي والرغبة في التغيير، وتتبلور في إحساسها بحقها في أن تنعم بحياة، عمادها العدل والحرية واحترام حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية. وتنتفض بين الحين والآخر طلائع تمثل ضمير شعوبها، باحثة عن دورها الذي وجدت من أجله، وراسمة حلمها التغييري، عازمة علىٰ أن تطيح بالديكتاتوريات التي تسببت في قعود مجتمعاتها عن مواكبة التطور الإنساني العالمي.

وتأتي إسهامات أكاديمية التغيير العلمية في إطار تقديم الخبرة الإنسانية التراكمية للشعوب، تنميةً للعقل التغييري، وتعزيزاً للفكر الاستراتيجي، ونشراً لثقافة التغيير علىٰ أسس علمية، مستفيدة في ذلك من التجارب الإنسانية علىٰ مر العصور، لاستكمال وصقل وتطوير طرق الكفاح التي بدأها أحرار الإنسانية الصامدون.

كتاب "حرب الصدور العارية"

يأتي كتاب «**حرب الصدور العارية**» - في سلسلة حرب اللاعنف- لإجابة سؤال مركزي في أي كفاح.. كيف نتعامل مع القمع؟ وهل يجدي اللاعنف مع نظم مستبدة تسخر كل طاقاتها للتصدي لصوت الشعب الهادر؟!

تجمعت مادة هذا الكتاب علىٰ مدار سبع سنوات، ونُشر الكثير منها كمقالات متناثرة عبر موقع أكاديمية التغيير علىٰ الإنترنت. وقد تأخرت طباعتها حتىٰ تصل إلىٰ مستوىٰ من النضج العلمي والعملي، خاصة وأن الموضوع

obeikandi.com

شائك ومهم. ويتطلب إجابات عملية تكافيء حجم التحديات التي يواجهها المقاومون السلميون أمام قوىٰ القمع.

تطورت مادة الكتاب من خلال الاحتكاك بالحراك الميداني في عدة دول، من أهمها مصر واليمن وسوريا، حيث وُجدت أنماطٌ مختلفة من التعامل القمعي، وكذلك من تركيبة المجتمع والوعي العام الشائع فيه بالتعامل مع القمع.

وقد آثرنا أن يطغىٰ الجانب العملي علىٰ الجانب النظري في الكتاب، فكان الجانب النظري في المفاهيم التي لا يمكن إهمالها، وبقدر الحاجة التي تتيح الفهم الجيد والاستيعاب. فالجانب العملي مرهون بالنظرية التي أنتجته، ومن ثم تأتي فائدة فهم الجانب النظري في إبداع أشكال عملية غير التي وردت في الكتاب.

كذلك اتسمت المعالجة بالواقعية بعيداً عن الرومانسية، لأن هدف الكتاب هو بيان منهج «**حرب اللاعنف**» ورؤيته لكيفية اختراق الواقع من أجل الوصول إلىٰ المثالية، مع تفهم أن الحركة نفسها يصعب أن تكون مثالية، بل هي حركة بشرية يعتريها النقص وتفتقد أحياناً إلىٰ الحيلة، لكنها تصر علىٰ المقاومة والتصحيح الذاتي لأخطائها. مما يلجئها أحياناً في ظل التحديات الجسام إلىٰ ممارسات كانت تدينها نظرياً. نتعرض لكل ذلك في الكتاب، ونتناول كيفية التقليل من مخاطره بحيث لا يتحول الاستثناء إلىٰ أصل.

وقد ركز الكتاب علىٰ القمع العنيف للقوات النظامية وغير النظامية، ولم يتعرض لأشكال القمع الأخرىٰ مثل التهديد، أو الفصل من العمل. حيث يعتبر هذا النوع العنيف من القمع من أكبر التحديات التي تواجه المقاومة، وهو الذي قد يؤدي إلىٰ الانحراف الكامل بالمسار نحو العنف.

تحدي الكتاب

لقد كان من أصعب الأسئلة في هذا الكتاب هو الجزم بموقف «**حرب اللاعنف**» من العنف، فهل يمكن أن يدار صراع سياسي صفري ضد ديكتاتوريات دموية بدون أي عنف؟

هل يوجد لا عنف مطلق؟

مع أنه يمكن تناول هذا السؤال بالتحليل والنقاش العلمي، إلا أن السؤال العملي هو: كيف يتمكن المؤمنون بالمسار السلمي من مواجهة تحديات العنف دون أن ينحرفوا عن المسار الأساسي؟! كيف تتجه وسائلهم بالمجتمع نحو الوصول إلىٰ المسار السلمي الخالص، لا إلىٰ العنف المدمر.

إن المقاومين في حرب اللاعنف يؤمنون بضرورة هذا المسار لتشكيل المجتمع المتحضر، الذي يقدس حرمة الدم، ويجرم الإفساد في الأرض. ويعلمون أن دورهم هو حصار العنف لا توليده، وهو ما يميز أسلوبهم عن الأساليب التي تتغذىٰ علىٰ العنف وتنمو من خلاله.

اللاعنف المثالي - في حالات التعامل مع الديكتاتوريات - حلم يعكف علىٰ إيجاده علماء ونشطاء اللاعنف المهتمين بتطوير هذا الأسلوب، وإلىٰ أن يتحقق هذا الحلم فكل ما يمكن فعله هو التشديد في تبيان خطورة استخدام العنف، وتقييده بممرات ضيقة جداً يُسمح له بالمرور منها في حالات محدودة، وبشروط استخدام صعبة، وآليات يكاد يكون الخلاف المجتمعي عليها محدوداً. بحيث لا يستولي بمنطقه علىٰ منطق اللاعنف، ويبقىٰ خطاً خجولاً متوارياً في لوحة اللاعنف الزاهية. ويظل دائماً في عيون المهتمين بتطوير هذا المجال فعلاً مداناً.

إن التجربة العملية من خلال تدريس منهج حرب اللاعنف للكثيرين من

المهتمين والمقاومين حول العالم، أثبتت أن المقاومين لديهم بدائل لمواقف كثيرة كانوا يظنون أن العنف وحده هو القادر علىٰ حسمها. لقد أصبحوا أكثر مرونة وخفة، وأصبحت عقولهم أكثر اتقاداً وإبداعاً. أجبروا خصومهم أن يتساءلوا؟! ماذا نفعل مع أناس لا يقاتلون لكنهم لا يخضعون؟!

أثبتت التجربة أن وفرة البدائل مرتبطةً بإعمال العقل، حيث تنحسر الأفكار التي تعتقد أن العنف وحده قادر علىٰ العمل، وتبقىٰ مساحات قليلة – وهي ما نسميها بالممرات الضيقة- التي يمر من خلالها العنف في مشروع التغيير ضد ديكتاتوريات غاشمة، يكون فيها العنف خاضعا لدستور اللاعنف وأخلاقياته.

وبذلك تمكن أسلوب حرب اللاعنف من إنزال منهج العنف من فوق عرش مناهج التغيير، بعد أن كان حاكماً لها لفترة طويلة، وبقيت مساحات بسيطة في مدينة التغيير لم تحرر بعد، ما زال العنف يحتلها. وتحرير هذه المساحات مرهون بتطور أفكار وتكنولوجيا جديدة. تساعد العزّل علىٰ تجنب مخاطر القمع الفتاك.

محتويات الكتاب

يحتوي الكتاب على خمسة أبواب:

الباب الأول: فهم منطق القمع. وهو باب تحليلي تفسيري يسلط الضوء علىٰ أسباب انطلاق شرارة القمع.

الباب الثاني: أدوات القمع. وهو باب يصف آلة القمع ومكوناتها وأدواتها، وكيفية عملها.

الباب الثالث: قواعد استراتيجية عامة. وفيه استعراض لتسعة عشر قاعدة استراتيجية أساسية للتعامل مع القمع.

الباب الرابع: كيفية التعامل مع القمع. ونستعرض فيه بعض الاستراتيجيات والتكتيكات التي يمكن استخدامها للتعامل مع أشكال القمع المختلفة.

obeikandl.com

الباب الخامس: تكنولوجيا مواجهة القمع. وفيه استعراض لبعض ما ابتكرته العقول من تقنيات دفاعية وهجومية.

ثم اختتم الكتاب بملحق يضم أهم ما يمكن الرجوع إليه مما تمت الإشارة إليه في ثنايا الكتاب، مثل دليل قوات مكافحة الشغب.

وبذلك يجد المهتمون بالتفسير والتحليل بغيتهم بالأساس في الباب الأول الذي يغلب عليه الطابع التحليلي، بينما يجد المهتمون بالحراك الميداني والأفكار الاستراتيجية والتكتيكية العملية بغيتهم في الأبواب الأربعة اللاحقة.

ونتوجه بخالص الشكر للأستاذ جمال المليكي المحلل الأبرز للثورة اليمينة منذ انطلاقها، والذي أثرىٰ الملحق بفصل عن كيفية تعامل الثورة اليمنية مع القمع، حيث يلح السؤال.. كيف تمكن شعب مسلح بطبعه من تجنب حرب أهلية؟ وكيف أدار عملية الرد العنيف؟!

إن حركة الشعوب غالبة، طالما اتسمت بالوعي والإرادة والإصرار. وحركة الديكتاتوريات إلىٰ زوال. ومما يسرع زوالها تمسكها بغباء الحل القمعي. إنه ليس صراع بين سلطتين، سلطة الشعب وسلطة الحكومة، بل صراع بين رؤيتين للعالم والقيم التي يسير عليها، رؤية تحترم الإنسان وكرامته حتىٰ لو كان خصماً أو مخالفاً في الرأي، ورؤية تؤمن بالفكرة الواحدة، وتُخَوِّن كل من خالفها. رؤية تنادي بعالم يسع الجميع، وأخرىٰ ترىٰ تضييق الخناق علىٰ الجميع. رؤية تمد ذراعها بالسلام، وأخرىٰ تمد يدها بالرصاص.

لذلك لقنت **"حرب اللاعنف"** الرصاص درساً قاسياً، أنه أعجز من أن يقتل فكرة، وأن بإمكان اللاعنف سحق القمع نفسياً ومادياً حين يرتد أثره علىٰ من أشعله. حرب اللاعنف لا تهادن ولا تدعي أن قلوب الطغاة تلين، لكنها تجفف الشرايين التي تمد تلك القلوب بالحياة. وذلك حين يعلن الشعب الرفض

والعصيان. حين يتحول صوت الرصاص من أداة تخويف وقتل، إلىٰ خلفية موسيقية حماسية تلهب المشاعر فيتقدم الأحرار صفوف المقاومة بصدور عارية. وتسطر البطولات، ويتبادل العالم الصور، لتزين عناوين الجرائد حول العالم بصيحة مدوية معلنة: الشعب اليوم أثبت أنه حر لا يخاف، برجاله وأطفاله ونسائه.

وانطلاقاً من حرص الأكاديمية علىٰ التواصل المستمر مع روادها، واطلاعهم علىٰ التحديث المستمر لمادة الكتاب؛ فقد خصصت قسماً في موقعها علىٰ الإنترنت (**www.aoc.fm**)، يتيح للمسجلين فيه متابعة تحديثات الكتاب والمواد الداعمة له من فيديوهات وصور وسيناريوهات، وتلقي أسئلة القراء والإجابة عليها. كما يمكن متابعة الجديد من خلال صفحتنا علىٰ الفيسبوك .

https://www.facebook.com/academyofchange.net

قسم الدراسات والأبحاث

أكاديمية التغيير

* * * *

opelkandl.com